

العتق من النار



توالت الأخبار عن عظيم عفو الله ورحمته في هذا الشهر المبارك من أول ليلة فيه إلى آخر ليلة دون انقطاع لفضله ورحمته كما في الحديث عن رسول الله (ص) بقوله: "إن أبواب السماء تفتح في أول ليلة من شهر رمضان، ولا تغلق إلى آخر ليلة منه". وعن الإمام الصادق (ع) قال: "إذا كان أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لِمَنْ يشاء من الخلق، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاعف كل ما اعتق إلى آخر ليلة في شهر رمضان يضاعف مثل ما اعتق في كل ليلة". وفي ذلك مدعاة للإكثار من الصالحات والعبادات سيما إحياء الليالي في هذا الشهر الفضيل لكي يتمكن المؤمن من أن ينير قلبه وإحياء روحه وأن يلامس الخشوع خلال مناجاته ودعائه وابتهاله في هذه الساعات المباركة. وفي الحديث عن رسول الله (ص) قال: "لو يعلم العبد ما في رمضان لودَّ أن يكون رمضان رمضان السَّنَةِ". بمعنى أن يكون رمضان السنة كلها لا شهر واحد منها فقط لما فيه من الخير العظيم والأجر الجزيل وما يعيشه المؤمن من نفحات إيمانية في هذا الشهر. ولهذا يعتبر هذا الشهر عيداً لأولياء الله يستبشرون بمقدمه ويحزنون لفراقه حتى قبل انتهائه كما في تعبير الإمام زين العابدين عند وداع شهر رمضان بقوله: "السلام عليك يا شهر الأكرام ويا عيد أوليائه. السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيام والساعات. السلام عليك من شهر قرأت فيه الآمال، ونشرت فيه الأعمال. السلام عليك من قرين (الصاحب الذي يعظم قدره حين وجوده ويحزن القلوب فراقه) جل قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً، ومرجو آملاً فراقه. السلام عليك من أليف أنيس، الف الشيء أنيس به وأحبه أنيس مقبلاً فسرراً، وأوحش منقضيًا فمض (مض: ألم وأوجع، ذلك أن قلوب المؤمنين تحزن وتتألم على فراق هذا الشهر المبارك). السلام عليك من مجاور رقت فيه القلوب، وقلبت فيه الذنوب. السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهل سبيل الإحسان. السلام عليك ما أكثر عتقاء الأنواع فيك، وما أسعد من رعى حرمتك بك. السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب، وأسترك لأنواع العيوب. السلام عليك ما كان أطول لك على المجرمين، وأهيبك في صدور المؤمنين. السلام عليك من شهر لا تنافسه الأيام. السلام عليك من شهر هو من كل أمرٍ سلام. السلام عليك غير كريمة المصاحبة، ولا ذميم الملابسة (الأشكال، الشبهة). السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات، وغسلت عننا دنس الخطيئات. السلام عليك غير مودع برماً (سماً وضجراً)، ولا متروك صيامه سأملاً. السلام عليك من مطلق وب قبل وقته، ومجزون عليه قبل فوته. السلام عليك كم من سوء صرف بك عننا، وكم من خير أفيض بك علينا. السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشد شوقنا غداً إليك". فهذه المشاعر الجياشة تجاه وجود شهر رمضان المبارك والحزن على فراقه وانتهاء وقته ينبغي أن يعيشها الإنسان في وجوده كل يوم بل كل ساعة ولحظة من هذا الشهر الفضيل ويشكر الله على هذا اللطف والنعمة العظيمة التي غمر بها عباده وتفضل بها عليهم،

فهو شهر الغفران للذنوب والستر على العيوب، شهر الخير والبركات وغسل الدنس من السيئات، فكم من سوء صرفه إلا في هذا الشهر، وكم من خير أفاض به إلا في هذا الشهر الذي رقت فيه القلوب، وقلبت فيه الذنوب وأعان على الشيطان، وسهل سبل الإحسان، فما أسعد من كان من أهل هذا الشهر ومن رعى حرمة وكرامته ومن فاز فيه بعثت رقبته من النار. والحديث عن النار وما يلاقيه الإنسان من عذاب وهوان حديث يطول البحث فيه ونوجزه بدعاء الإمام زين العابدين (ع) الذي يشير إلى أنواع العذاب في جهنم الذي يقول فيه: "اللهم إنِّي أعوذُ بك من نارٍ، تغلّط بها عليّ من عصاك، وتوعدّ دبت بها من صدق عن رضاك، ومن نارٍ نورها ظلمة، وهبّ نذرها أليم، وبعيدها قريب، ومن نارٍ يأكل بعضها بعض، ويصول بعضها على بعض، ومن نارٍ تذرّ العظام رميمًا، وتسقي أهلها حميمًا، ومن نارٍ لا تبقى على من تضرّع إليها، ولا ترحم من استعطفها، ولا تقدّر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلقى سكرانها بأحرّ ما لديها، من أليم النكال وشديد الوبال، وأعوذُ بك من عقابها الفاعرة أفواهها، وحياتها الصالحة بأنبيائها، وشرابها الذي يقطّع أمعاء وأفئدة سكانها، وينزع قلوبهم، وأستهديك لما باعد منها وأخّر عنها.

اللهم صلّ على محمد وآله، وأجرني منها بفضل رحمته، وأقلّني عثراتي بحسن إقالتك، ولا تخذلني يا خير المجيرين، إنك تقي الكريهة، وتُعطي الحسنة، وتفعّل ما تُريد، وأنت على كلّ شيء قدير. وفي هذا الوصف الدقيق لجهنم وما يلاقيه الإنسان فيها عبرة للداعين في رمضان وأن يدعوا من أعماق قلوبهم عن وعي وإدراك ما يدعوا به زين العابدين في دعائه "اللهم صلّ على محمد وآله، وإذا كان لك في كلّ ليلة من ليالي شهرنا هذا، رقابٌ يعتقها عفوك، أو يهبها صفحك فاجعل رقابنا من تلك الرقاب، واجعلنا لشهرنا من خير أهل وأصحاب".